

أسباب رقة القلوب وأسباب قسوتها

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وبعد... واجب على المسلم بصفته مؤمناً ومسلماً أن يتعلم الأسباب التي تجعله يخضع لله، ويخشع له ويتواضع بين يديه ويؤمن به ويتوكل عليه ويشني عليه الخير كله ويذكره ويشكره ولا يكفره، ويتعد عن أسباب سخطه ما هي الأسباب التي تجعلك هكذا؟ نعرف أن الكثير والكثير يتسمون بأنهم مسلمون؛ ولكن نجد أنهم لا يتذكرون إذا ذكروا ولا يتعطون إذا وعطوا، ولا ينزجرون عن النقائص التي هم فيها، ولا يستعدون للأعمال الصالحة التي خلقوا لها وأمروا بها ولا يقلعون عن المعاصي والمحرمات ما سبب ذلك؟ ونجد أيضاً أن الكثير من عباد الله تعالى قد رزقهم الله ذلاً وتواضعاً وقلوباً لينية؛ يخشعون لله سبحانه ويخضعون له ويتواضعون بين يديه، ويخرون للأذقان ويكونون بيزيدهم خشوعاً، وإذا تتلى عليهم آيته خروا سجداً وبكياً. يكون خوفاً من الله سبحانه. يرجون رحمته ويخافون عذابه إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ما أسباب ذلك؟ لا شك أن القلوب القاسية بعيدة عن الخشية وبعيدة عن الإنابة؛ فعليك أن تعرف أسباب القسوة حتى تتجنبها، وأسباب لين القلوب ورقتها حتى تتعزز بها وتكثر منها لتكون من عباد الله الخاشعين الخاضعين المتواضعين فنقول: إن الله سبحانه وتعالى أقام الأدلة والبراهين على وجوده، وعلى قدرته وعلى كمال تصرفه، وعلى كمال إنعامه، وعلى أنه وحده هو الذي تفرد بالبقاء والدوام وهو الذي تفرد بالخلق والإيجاد، وهو الذي تفرد برزق العباد. أقام الأدلة على ذلك ونصب البراهين؛ ولكن لا يفكر فيها ولا ينتفع بها إلا أولو الألباب. كثيراً ما يذكر الله تعالى الآيات والأدلة ثم يقول: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وذلك لأن أهل العقول الصحيحة الذين استعملوا عقولهم فيما ينفعهم في الدار الآخرة نظروا في آيات الله؛ فأستدلوا بها على كمال عظمتهم وكمال جلاله وكبرائه؛ فكانوا لذلك أهل الخشوع وأهل الخشية وأهل الإنابة، رقت قلوبهم ودمعت أعينهم واقشعرت جلودهم، وأقبلوا بقلوبهم إلى طاعة الله سبحانه، وعظم قدر ربهم في قلوبهم فصاروا يتأثرون بكل كلمة إذا قرئت عليهم آية أو سورة ولو قصيرة زادت إيمانهم، وزادت يقينهم وزادت أعمالهم فزادوا بها قربة، وانصقلت قلوبهم وزال ما فيها من الوهن وما فيها من القسوة؛ فرقت لذكر الله تعالى، وأنابت إليه فتراهم كلما سمعوا آيات الله أو وعظوا بوعدته أو بوعيدته. رأيت هذا باكياً وهذا حزينا وهذا خاشعاً وهذا خائفاً.